مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn: 2602-5264 Issn: 2353-0499
المجلد 10 / العـدد: 3 (2022)، ص:316-332

التداولية والتواصل في الفلسفة التحليلية الغربية المعاصرة

Pragmatics and Communication in Contemporary Western analytical Philosophy

د. فريدة لعبيدي[1]

[1]جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)، labidi.farida@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/07/23 تاريخ القبول: 2022/09/17 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص: تتميز المعرفة الإنسانية غالبا بالتراكم والتعالق، فالتداولية فيما توصل إليه من الحقائق العلمية موضوعها التواصل، ولم تستقر كاتجاه علمي لغوي إلا بعد أن كان معرفة فلسفية تجاذبتها العديد من النظريات الفلسفية، فقد تعددت مناهلها ومرجعياتها الفلسفية والفكرية، بحيث تشربت من علوم مختلفة هيأت لشأن الدرس التداولي فيه من مثل نظريات التواصل ونظريات تحليل الخطاب أين تبلور موضوعها كآلية حية في تحليل الاستعمال اللغوي.

كلمات مفتاحية: التداولية، التواصل، الفلسفة الغربية المعاصرة، مرجعيات، فلسفة اللغة.

Abstract: Human knowledge is often characterized by accumulation and interdependence. Pragmatics, with its scientific facts, it has arrived at is that its object is communication.

and it did not settle as a scientific-linguistic trend called the pragmatic lesson until after it was a philosophical theory attracted by many intellectual and philosophical orientations such as emotional philosophy, contemplative philosophy and language philosophy, where Its references, tributaries and origins varied, and one of the most important philosophies that accompanied the emergence, spread, development and activity of

the philosophy of pragmatics is the philosophy of communication. This article is an in-depth research into the philosophical ground of deliberation and communication, and a serious attempt to identify the most prominent and important principles, foundations and contemporary Western philosophical theories of these two epistemological systems.

Keywords: Pragmatics, Communication, Contemporary Western Philosophy, References, Philosophy of Language.

***المؤلف المرسل:** د. فريدة لعبيدي

1. مقدمة

لا ريب أن المعرفة الإنسانية موسومة بالوفرة والزخم، واللسانيات التداولية تعد رافدا من روافد المعرفة اللغوية، فقد تعددت مناهلها واختلفت مرجعياتها الفلسفية والفكرية بحيث تشربت من علوم مختلفة ذات توجهات معرفية علمية ذات أبعاد وأصول فلسفية هيأت لنشأة الدرس التداولي، وقد انبثقت التداولية من سبيلين اثنين، أولا: سبيل **"دو سوسير"** (1857-1913) مع البنيوية والذين جاؤوا من بعده، ثانيا: سبيل الاستعمال اللغوي كما جاء مع علماء الفلسفة التحليلية، والحقيقة أنهما رافدان رئيسان لنشأة هذا التوجه المعرفي ومن جهة المؤثرات الفلسفية الأمريكية البراغماتية، فهذه الاتجاهات الثلاثة قد رسمت منحى الاتجاه التداولي في مجال اللغة والفكر اللساني الغربي الحديث.

2. التداولية في الفلسفة التحليلية الغربية المعاصرة: يعد هذا الاتجاه امتدادا لما أرساه "**بيرس**" في القرن التاسع عشر حين صاغه **pragmatisse** عام 1905 ثم عدل مفاهيمه "ويليام جيمس" وقوامه قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى

انطباقها على الواقع وصياغتها علميا، ثم سرعان ما صارت هذه السمة مميزة للثقافة الأمريكية الحديثة بشكل عام. (والرولي و البازعي، 2002، صفحة 100).

وتسمح بالنظر إلى عالم يموج بالحياة والنشاط بعيدا عن العالم المصطنع الذي يتخيله الفيلسوف المثالي، وموضوع التداولية فيما نراه من الحقائق العلمية التي توصلنا إليها هو التواصل، وهي تعتبر آلية حية في تحليل الاستعمال اللغوي.

نشأت التداولية نشأة فلسفية وتطورت مع نظريات التواصل وتحليل الخطاب التي تشتغل عليها، ولهذا يعتبر الوعي التداولي مشهدا معرفيا اتجه نحو حضور العقل المفكر من جهة واللغة كآلية من جهة أخرى، وبهذا اكتسب البحث التداولي آليات للمناقشة والفحص والدراسة مع تحديد أسس الاشتغال.

يحيط الدرس التداولي إشكالات عديدة تبدأ من مرحلة النشأة الفلسفية والأبعاد الذرائعية مرورا بعلاقتها نظرية التواصل الحديثة.

إن الامتداد التداولي مرتبط في أساسه بالمسار الفلسفي حيث تشير الدراسات التي عنيت بنشأة التداولية إلى أنها وليدة الفلسفة الذرائعية أو البراغماتية في الحقل الفلسفي. (بلانشيه، 2008، صفحة 32).

يعتبر الحديث عن المقاربة التداولية المرحلة الثالثة من تاريخ الدراسات اللغوية والبحث عن المعنى، وفرع من فروع السيميائية وأصولها النظرية وهذا كله مرتبط بالفلسفية التحليلية، بما أن التداولية منبثقة في أساسها من المقاربات الفلسفية وخاصة الفلسفة التحليلية.

وقد عادت التداولية بعد أوستن (1911-1960) وسيرل (1932) إلى التحليل الحجاجي تحديدا مع لسانيين فرنسيين من أمثال أزفالد ديكور وكربرات وأوركيوني." (بلانشيه، 2008، صفحة 26).

قد أرسى **أرسطو** الأسس الخطابية على القياس، وهو وسيلة شكلية تنشِئ علاقة بسبب ونتيجة بشكل صارم بين المقدمات والنتيجة، حتى أنه يتعذر علينا

الاعتراض على الإثبات إلا إذا دحضنا المقدمات، والمثال الذي نتوسل به في هذا المساق:

سقراط إنسان:

1. كل إنسان فان.

2. وبما أن سقراط إنسان.

3. فإن سقراط فان. (بلانشيه، 2008، صفحة 23).

يوجد في المثال السابقتراتب منطقي ودلالي صارم لعناصر القياس في هذه البنية الخطابية ينبغي عدم خلطها بالنفعية ذلك أن التيار الفلسفي الأمريكي الذي يمثله الأمريكي ويليام جيمس وجون ديوي وريشارد رورتي قبل أن تظهر بمدة طويلة دراسات في هذا المجال. (روبول و موشلار، 2003، الصفحات 28-29).

ولاقت الدراسات اللسانية للخطاب اهتماما بالغا من قبل الفلاسفة واللغويين منذ القدم، حيث طفقوا يوظفون المنطق اللغوي الحجاجي في تحليلهم للخطابات، ومن هنا نستنتج أن المعالجة المنطقية ضاربة في القدم، والبحث عن المعنى المقاصدي مفتوح الجوانب الإجرائية.

تبرر الذرائعية نفسها من خلال صدق الفكرة والنتيجة العملية التي توصلت إليها من كونها مفيدة أم مضرة، أي أن الذرائعية اتجاه فلسفي يحلل ويعالج معنى الفكرة، إضافة إلى أنها تشير إلى العمليات العقلية المرتبطة بالمعرفة الصحيحة وكل شيء مرهون بنتائج التجربة تشكل بمجموعها وسائل ذرائعية وذرائع لبلوغ غايات جديدة. (فام ، 1963، الصفحات 150-151).

ولا تهتم الذرائعية بالفكرة أو بشكلها في الذهن، بل بالنتائج وانبثاق حقائقها في الموجودات، لذا فإن الاتجاه التداولي يتجاوز معالجة اللغة في ذاتها إلى تفسيرها في حال تداولها واستعمالها في الواقع، ثم بعد ذلك أخذت خصوصيتها من بين العلوم الأخرى.

بما أنها تهتم بالممارسة العلمية الفعلية للغة والمتعلقة بالمقاصد التي تحققها الظواهر اللغوية في التواصل. (فام ، 1963، الصفحات 151-152).

وتكتنف الدرسَ التداولي الشق النظري والتطبيقي إشكالاتٌ عديدة، بدءا بمرحلة نشأتها الفلسفية وخاصة بتطور نظريات التواصل واستراتيجيات الخطاب وتحليله ومعالجته.

وتعتبر التداولية عند البعض منهجا إجرائيا غير مضبوط، وهي عبارة عن تيار تمخض من المسار الفلسفي فكيف يا ترى انتقلت التداولية من نشأتها الفلسفية إلى نشأتها اللغوية؟

"أدت أعمال أوستن وغرايس في ظرف وجيز إلى ظهور فيض من الأعمال ذات أصول علمية، متعددة التوجهات، مثل فلسفة اللغة واللسانيات والمنطق وعلم النفس العرفاني، واللسانيات المنطق وعلم النفس العرفاني، واللسانيات النفسية، واللسانيات الاجتماعية والذكاء الاصطناعي." (موشلار و روبول، 2010، صفحة 22).

ومن هنا انبثقت التداولية من أصول الفلسفة التحليلية والمتضمنة لأفعال الكلام.

إن علم التواصل الجديد الذي نشأ في حضن الفلسفة هو قبل كل شيء محاولة للإجابة عن أسئلة من قبيل ماذا نفعل؟ ماذا نقول؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟ (علوي ، 2011، صفحة 17).

وهكذا يبدو لأول مرة، وغموض علم التواصل بما يصطلح بالتداولية يتحدد من وجهتين:

1. أولهما: أنها مرتبطة بتخصصات عديدة.
2. ثانيها: يتعلق بتعذر مناهجها بل وتعذر الوقوف عند أهدافها.

لذا فالقول باستعراض أصل اللسانيات التداولية وتطورها ليس بالأمر السهل لأنها في نظرنا مدينة لعدد من التيارات الفلسفية، إذ يصبح من الضروري الإحاطة بهذا التخصص من وجهة نظر الدراسات التي خاضت في أهم ظواهره، ونقصد بذلك ظاهرة أفعال الكلام، فالنظرة التداولية تستلهم وجودها من الفلسفة والمنطق، ومنطلقاتها من فلسفة اللغة العادية بشكل عام ونظرية أفعال الكلام بوجه خاص، وكذلك من ضروب تحليل الحوار، ومن الاختلافات الثقافية في كل تفاعل كلامي، كما هو ملاحظ في العلوم الاجتماعية. (دايك، 2000، صفحة 255).

نستنتج من خلال هذا الطرح المقدم أن فلسفة اللغة العادية قد أمدت التداولية بفكر أصولي يستعرض اللغة ويحللها على منهج الاستعمال، ويجعل منها أداة للتواصل والتفاعل.

وتعتبر الألعاب اللغوية الرحم الشرعي التي أنجبت المقاربة التداولية بصفة عامة، حيث أسس **فدجنيشتين** نظرية الألعاب اللغوية ردا على الفلسفة المنطقية وتجاوز اللغة الاصطناعية التي بثها في "الرسالة المنطقية الفلسفية إلى التأسيس لنظرية الألعاب اللغوية التي تنطلق من فلسفة اللغة العادية وما سيصبح دستور مدرسة **أوكسفورد** في مقابل عريمتها مدرسة كامبردج، من هنا تجاوز **فدجنيشتين** النظرة المفهومية للغة التي ترى في اللغة مجرد تصوير للواقع أو ما يسمى بمقولة المرآة إلى القول بفكرة اللغة للاستعمال." (عبد الحق، 1993، صفحة 135).

ويقصد بمفهوم التلاعب بالكلام أو ألعاب اللغة أن الأفعال التي نتلفظها ترتبط بأشكال الحياة والممارسات التي نحياها، أي أنه ينحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين عباراتهم، ما يجعل الخطاب يخضع لممارسات تنظمه وتحدد اختياراته اللفظية، وبهذا ميز بين المعنى المحصل الذي يرتبط الكلام به وبين المعنى المقدر الذي يرتبط بالجملة، والناطق في كل ذلك يتبع

قاعدة ويمثل إليها، وهي لا تعدو في رأي **فدجنيشتين** لعبة من ألعاب اللغة شأنها في ذلك شأن الممارسات الأخرى. (بوجادي ، 2009، صفحة 52).

فالقاسم المشترك بين اللغة والألعاب أن لكل واحد قواعد تضبطه وتحتم على اللاعب الانضباط بها والسير وفقها، فالمعنى اللغوي الصحيح والسليم لا يتأنى إلا بإتقان قواعد استعمال الكلام ومراعاة أغراضه ولم تصبح التداولية مجالا لغويا خصبا للدراسة إلا في العقد السابع من القرن العشرين سيستفيد من آراء وتنظيرات رواد اللغة الطبيعية الذين اهتموا بالمعنى وطريقة توصيله بلغة إنسانية طبيعية، وهذا ما يعد من صميم الدرس التداولي. (دلاش، 1992، صفحة 18)

3. الفلسفة التحليلية واللغة:

بعد مجيء الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين **luafigh faytghinishtayn** (1889-1951) اتبع الأثر الذي جاء به الفيلسوف الألماني فريجه وانتقد مبادئ الوضعانية المنطقية، وأسس اتجاها فلسفيا جديدا أطلق عليه مصطلح فلسفة اللغة العادية، موضوعها هو الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في الكلام عند الإنسان.

من بين التعاريف التي عالجت مصطلح الفلسفة التحليلية تعريف **سكوليموفيسكي**، حيث أكد فيه على اعتراف الفلسفة التحليلية بالدور الفعال الذي تؤديه اللغة اتجاهها إلى تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا بجزء إضافة إلى المعالجة المشتركة بين الذوات أو البين ذاتية لعملية التحليل. (مهران رشوان ، 2007، صفحة 62).

وتطرق أيضا **"ستيفان شوفي "** إلى تعريف الفلسفة التحليلية بمفهوم آخر:"إنها تلك الفلسفة التي ترى أن التحليل الفلسفي للغة كفيل بإيصالنا إلى تفسير فلسفي للفكر بإيصالنا إلى الفهم الكلي للكون." (صحراوي، 2004، صفحة 40).

إن التطور المعرفي المستفيض الذي تشهده الساحة اللسانية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أصبح فيه الاهتمام يتزايد بالعلوم الأخرى ككل، وتأثيرها العميق في الاتجاهات الفلسفية فتح أفقا جديدا في الدراسة مبتعدا كل البعد عن الاتجاه الميتافيزيقي، واتبع المنهج التحليلي في طرح الحقل الفلسفي؛ حيث انتقل من البحث في تَكَوُّنِ المعرفة حول الأشياء والكون إلى البحث في اللغة، فقد وضع فلاسفة التحليل مناهج علمية جديدة في الفلسفة تقوم على التحليل المنطقي للغة وهذه الطريقة العلمية أثبت جدارتها في القدرة على التمييز بين المفاهيم الميتافيزيقية وقضاياها.

إن اللغة هي أساس أي **مشروع فلسفي** يروم فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا، لأن جميع العلاقات الذاتية مع الأفراد والمجتمع قائمة على أساس لغوي مرتبط ارتباطا وثيقا بالفهم والمعنى الذي تنقله لنا اللغة لا يصير ملموسا إلا على هذا الشكل، فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما أولا هو اللغة، وهذا الاهتمام الذي أبداه الفلاسفة في القرن العشرين للغة وهو الذي أدى إلى التحول اللغوي أو تحول مسار الدراسات اللغوية.

4. التواصل في الفلسفة التحليلية الغربية المعاصرة:

سوف نحوصل الحديث عن فلسفة التواصل من خلال كتاب **"جان مارك فيري"** (1946) المعنون بـ **"إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة"** والذي ترجم على يد "عمر مهيل" عام 2006 وهو أفضل عمل يمكن اعتماده لمعرفة أسس التواصل الفلسفية ومرجعياته النظرية الأولى.

وقد قام **"جان مارك فيري"** بترجمة كتاب **الفيلسوف الألماني "كارل أوتوآيل" الموسوم بـ"التفكير مع هابرماز ضد هابرماز"**، حيث أوضح في مقدمته الإطار المفاهيمي والتاريخي الذي أنتج فيه آيل نصه بما هو رد فلسفي معرفي إبستيمولوجي على تلك المقولات التي كان قد ساقها هامرماز حول فيلسوف

الكينونة الأولى **"مارتن هايدغر"** في مقاله الذي يحمل عنوان "التفكير مع هايدغر ضدها يذكرها" (مارك فبرى، 2006، صفحة 10).

ويذهب "جان مارك فيري" إلى أن الفلسفة قد تطورت من الشعورية إلى التأملية وصولا إلى فلسفة اللغة. وتعد ولادة التداولية حسبه من أهم اللحظات التي يعتقد أنها لحظات مفصلية في ظهور فلسفة التواصل وانتشارها، وقد "شكل مبحث التداولية **la pragmatique** منعرجا حاسما في بلورة مبحث التواصل بشكله الحالي، ذلك أن التداولية وعبر بنيتها القاعدية المستندة إلى اللغة كمدخل مفتاحي لأية معرفة ممكنة كان بمثابة الضامن لاستمرار بناء هيكلتها الداخلية منهجيا ومعرفيا وقد كان ذلك واضحا منذ الفيلسوف الأمريكي تشارلز والمؤسسين لمبحث التداولية وهو الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرس بيرس **ch.s.pearce** مرورا بزميله تشارلز موريس **ch.morris** وصولا إلى ديتربيلر **d.buihler** في ألمانيا ومن ثمة عند كل من أوستين وتلميذه سيرل **r.searle** وكذلك عند غريس **grice**. (مارك فبرى، 2006، صفحة 11).

إن معظم التداوليين يقدرون مجهودات "دو سوسير" وطبيعة نظرته الحديثة إلى اللغة خاصة في مستويين: (مارك فبرى، 2006، صفحة 11).

1. من حيث إن اللغة مستقلة عن الواقع؛ ما يؤدي في النهاية إلى فك الارتباط القائم بين المعنى وهذا الواقع.

2. تباين الآفاق الإدراكية التي تعبر عنها كل لغة وتميزها عن الآفاق الأخرى، فكل لغة هي بنية دالة منغلقة على ذاتها، ومن ثمة تمتلك إدراكها الخاص بها، وقد دافع عن هذه الفكرة الألسني الأمريكي إدوارد سابير **esapir** في كتابه الشهير التعبير أو الكلام حيث عرفت ألسنيته بالألسنية النسبية.

كما أنهم يثمنون في الوقت ذاته مجهودات الألسنيين السيميائيين وبخاصة في مجال اجتهادهم الأساسية وهو العلامة، انطلاقا من أن العلامة كما يرى

أمبرتوايكو **umberto.eco** في كتابه السيميائيات وفلسفة اللغة "كيان واسع الامتداد، كيان يشكل حلقة وسطى بين نظام الأشكال والصيغ اللامتناهية للتعابير الإثباتية، الاستفهامية أو الآمرة." (مارك فبرى، 2006، صفحة 12)، والتواصل يتعامل بالعلامات في الأساس وهي الرابط الذي يجمع بين الإنسان المدرك للعالم والواقع واللغة المعبرة عنه، وهذا ما نبهت إليه جوليا كريستيفا من كون العلامة تتأسس قبليا على مقولة التشابه والتطابق، فهي -أي العلامة- تنزع دائما إلى اختزال الكثرة إلى الوحدة اختزال الذات والموضوع داخل الرسالة، وعليه تصير العلامة الطبيعية مطابقة للعلامة اللغوية.

أما مجهودات "أوستين" في تحديد مفهوم اللغة فهي في قمة الجودة والعمق والجدية لا يمكن بحال من الأحوال إنكارها أو إغفالها "ففي كتابه إلهام" ربط القول بالفعل أو القول - الفعل (**guanddire ,c'est faire**) حاول أوستين أن يضيف إلى الجهاز المفاهيمي للغة خاصية جديدة هي خاصية ربط اللغة عبر أفعالها بالعالم أو بالواقع، وكل الجمل اللغوية عدا ما تعلق منها بالجمل الاستفهامية والتعجبية والآمرة تجد لها سندا في الواقع حيث يمكن التأكد من صدقها أو من كذبها، مع ذلك فهناك جمل خبرية وذات علاقة بالعالم لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب بسميها أوستين الجمل الوصفية **constatifs** وهناك جمل لا يمكن تطبيق معيار الصدق والكذب عليها يسميها المنطوقات الإنشائية.

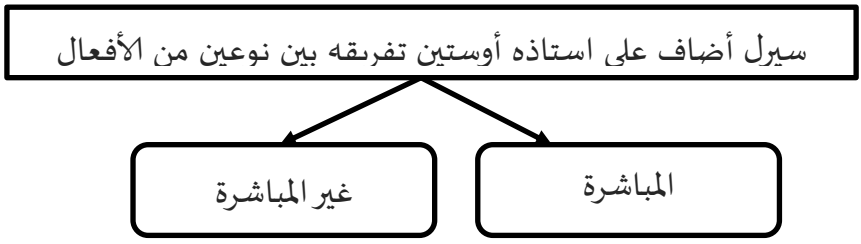

كما أضاف المقاصد + المواضعات: أربع قواعد:

- قاعدة المحتوى القضوي.
- قاعدة الادخال.
- قاعدة النزاهة.
- قاعدة الجوهرية أو الأساسية.

هذه القواعد تنظم بموجب ما يرى **سيرل** مجمل العملية التي تحدد مقاصد المتكلم عبر مواضعات لغوية تقوم بتصنيف الأفعال اللغوية وتسبغ عليها الدلالات، وقد أضاف بول غرايس (1913-1988) بعدا هاما آخر في مجال التواصل اللغوي هو تمييزه وفق مبدأ القصد بمعنى "**vouloir dire**" بين القضايا أو الجمل ذات الدلالة الطبيعية المباشرة، حيث تعبر عن ظواهر وضعت في إطارها المنظم.

وفتحت التداولية آفاق الإنسان المعاصر اللغوية على آفاق أوسع وأشمل ما كان ليبلغها لو بقي حبيس القوالب الألسنية الصارمة كما بلورها الرواد الأوائل، إن اللغة تضطلع بوظيفة هامة وأساسة هي الوظيفة التواصلية؛ لأن الهدف الأصلي من استعمال لغة في شتى ميادين الحياة هي إقامة التواصل، فهي كائن حي منفتح على هموم الإنسان وقضاياه وما عليه إلا أن يحسن ترتيبها، ومن ثمة ربطها بالمنطوقات اللغوية فتصير أفعال اللغة هي أفعال الإنسان، وتصبح اللغة أداة التواصل الأساسية، وهذا ما ذكره "جان مارك فيري" في مقدمة كتابه فلسفة التواصل.

إن للدرس التداولي فضلا كبيرا في تغيير النظرة إلى اللغة "كما أن مجهودات التداولية أفضت في نهاية المطاف إلى ما صار يعرف بالمنعرج الألسني بالتوازي مع المنعرج التداولي، كحاضنة جديدة لدراسة أوجه العلاقة بين المتكلم واللغة بحيث لا تكتفي في إطارها بدراسته الجمل صوتيا وتركيبيا، بل تتعدى كل

ذلك إلى المعنى التواصلي المتضمن فيها." (مارك فبرى، 2006، صفحة 13)، فالتداولية كان لها الفضل في إخراج الاهتمام باللغة من كونها ترسانة من الألفاظ والمصطلحات؛ أي من مجرد بناء لغوي أو كلامي إلى وضعيتها النشاطية الحركية التفاعلية التواصلية مع الاهتمام بمنتجها ومتلقيها وكل مقتضيات إنتاجها.

كما يقر "جان مارك فيري" أن النظرية النقدية الجديدة تمثل عبر رافدها الأساس مدرسة فرانكفورت معينا خصبا لمبحث فلسفة التواصل، بل إن هذا المبحث نما أصلا بين جنباتها، نشأ مع ماركيون **m.marcuse** ونما وترعرع عندها برماز **habermas** وآبل **apel** وألبرخت قيلمر **a.wellmer**، وآنا أرندت، مع الإشارة إلى أن أرندت لا تصنف كما ذكرت ضمن الخط الضيق للمدرسة. (مارك فبرى، 2006، صفحة 13).

وما يمكن تسجيله عبر التجول في رحاب أفكار فلاسفة هذه النظرية هو كونهم ذوي رؤية تشاؤمية تربط النتاجات اللغوية بالمصلحة التي تطغى على المنتج للغة في مختلف المؤسسات والأوضاع. فيصرح "جان مارك فيري " بذلك في قوله: "لقد بشرت مدرسة فرانكفورت عبر فلاسفتها المتشائمين بطبعهم بأن عالمنا الراهن ليس أرض السر الكبير، أو أرض الأحلام الموعودة، بل إنه عالم مريض، عصابي، سمته التشيؤ ومعالمه الاغتراب والاستبداد والتطرف، مع شعور متنامي بالخذلان مما آلت إليه هذه البشرية المنكوبة بالقسطاس إنها نظرية نقدية راديكالية، لم نقل متطرفة لا تكتفي بنقد المؤسسات الفكرية، الاجتماعية، الاقتصادية القائمة لأن هدفها الأبعد هو النفاذ إلى البنية الفكرية التي أنبتت وفقها العوارض المادية، وإلى لغة التواصل والتخاطب بين الناس ومن ثم ربط توجهات العلم والمعرفة بالمصالح التي تحركها. (مارك فبرى، 2006، صفحة 14).

ومن بين ممثلي هذه النظرية نجد: "آنا ارندت" التي كانت لها العديد من الإسهامات والآراء من خلال كتبها النقدية المختلفة وخاصة كتابها "مسألة الإنسان الحديث" وقد حددت فضاءين للتواصل:

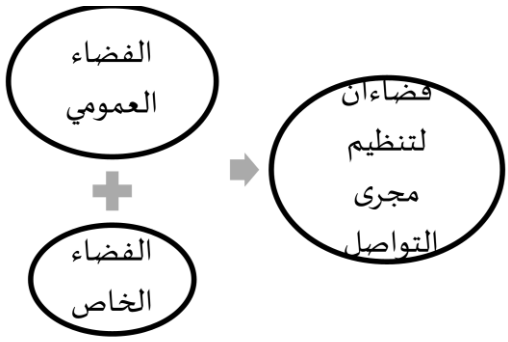

وفي حديث "جان مارك فيري عن "هابرماز" خصص حديثه في كتابه الضخم الذي يعد الدعامة الأساسية لمبحث التواصل فلسفيا وسوسيولوجيا وهو كتاب: **"نظرية الفعل التواصلي"** أين فرق بين العقلنة في التواصل والعقلنة في الأداء ورفض الأخيرة لأن العملية الكلامية يحكمها تواصل واتصال مع احترام الشروط في العملية التواصلية لا الأداء الفردي، بل تداخل مشترك بين المتكلم والمتلقي من أجل تحقيق هدف التواصل المتمثل في نجاح العملية التواصلية التفاعلية.

"على أن سعي **"هابرماز"** الدؤوب لبلوغ عقلنة جديدة يسميها العقلنة التواصلية، طبعا في مقابل العقلنة الأداتية التي يرفضها لأسباب التي ذكرناها، عقلنة تواصلية تضع على رأس أولوياتها عادة ربط صلة الفرد بالآخر الشريك دون ضغوط أو إكراه بغية تشكيل لحمة النسيج الاجتماعي." (مارك فبرى، 2006، صفحة 17).

وفي الحوصلة نقول: إن التواصل عند **"هابرماز"** هو الفاعلية الوحيدة التي في إمكانها إعادة ربط الصلة بين أطراف هذا العالم متقطع الأوصال، عالم فقد كل مرجعياته ونقاط ارتكازه، وانقطعت صلته الحميمية بالإنسان وعوض التقدم والمحبة والسلام ساد الاستبداد والعنف، حتى صار هذا العنف لما يقول **"إريك قاي"** موضوعا محوريا من مواضيع الفلسفة في المرحلة المعاصرة. (مارك فبرى، 2006، صفحة 18). ويبقى التواصل محل اهتمام كل العلوم والدراسات فنجد له تعريفات كثيرة كل حسب الزاوية التي ينظر إليه منها بعيدا نوعا ما عن الطرح الفلسفي:

1-التواصل: "التعبير والتفاعل من خلال بعض الرموز لتحقيق هدف معين وتنطوي على عنصر العضد والتدبير، وهذه الكلمة مشتقة من الأصل اللاتيني **communication** بمعنى المشاركة وتكوين علاقة أو بمعنى الشائع المألوف كما أرجع البعض هذه الكلمة إلى الأصل **common** بمعنى عام أو مشترك." (عبد الله، 2006، صفحة 23).

2-التواصل: "هو تبادل كلامي بين متكلم يصدر ملفوظ نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو الإجابة الواضحة أو الضمنية حسب نوع الملفوظ." (DUBOIS, 1973, p. 96).

وقد كان لـ "دو سوسير" نزعة اجتماعية في التواصل، فشرح عملية التواصل وكيفية حدوثها بين طرفين لأن التواصل ضرب من الحدث الاجتماعي، وتقوم نظريته على وجود شخصين اثنين على الأقل (باث ومتلقي) ليسيرا الكلام الذي أسماه (دائرة الكلام)؛ "وعن دائرة الكلام يرى الدارس ظاهرة الانغلاق؛ وإن كانت هذه الخاصية لها علاقة صرفة بالظاهرة اللغوية." (دو سوسير، 1986، صفحة 23).

3-ويعد جاكبسون (1896-1982) من أهم اللسانيين الذين تعاملوا مع ظاهرة التواصل علميا وتطبيقيا لا فلسفيا، وقد حدد أركان العملية التواصلية ووظائف اللغة (ست وظائف).

5. خاتمة

إن التواصل باللغة يعد من أهم وأرقى وسائل التواصل؛ لإن اللغة تبقى الوسيلة الوحيدة القادرة على إبلاغ الفكرة من التحدث إلى السامع سهولة ويسر وسرعة، ولأن الإنسان وحده لا يستطيع الاستقلال بجميع حاجياته بل لابد من تعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف ولا تعارف إلا بوجود لغة.

مما سبق قوله حول التداولية والتواصل نستنج أن كلا المبحثين لا يمكن الفصل بينهما إلا استجابة للدراسة فقط خاصة وأن التواصل نشأ وترعرع وتطور وانتشر في كنف التداولية، وما (والرولي و البازعي، 2002) تزال الدراسات تفاجئنا في كل مرة حول هذين النسقين المعرفيين، خاصة وأن موضوع اللغة الذي يهمهما الاثنين في دراسة واهتمام متواصلين.

يعد نموذج جاكبسون من أهم النماذج في نظرية التواصل حيث حدد أركان العملية التواصلية ووظائف اللغة، وهي: الوظيفة التعبيرية، الوظيفة الانتباهية، الوظيفة المرجعية، الوظيفة الإفهامية، والوظيفة الشعرية، الوظيفة ما وراء اللغوية.

6. قائمة المراجع

DUBOIS, J. (1973). *dictionnnaire de linguistique-libraire larouse.*

الجيلالي دلاش. (1992). *مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية و آدابها.* (محمد بحياتن، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

آن روبول، و جاك موشلار. (2003). *التداولية اليوم علما جديد في التواصل* (المجلد ط01). (سيف الدين دعفوس، المترجمون) بيروت ، لبنان: دار الطليعة للطباعة و النشر.

جاك مارك فبرى. (2006). *فلسفة التواصل.* (عمر مهيبل، المترجمون) لبنان: الدار العربية للعلوم ،ناشرون.

جاك موشلار، و آن روبول. (2010). *القاموس الموسوعي للتداولية.* تونس: دار سيناترا المركز الوطني للترجمة.

خليفة بوجادي . (2009). *في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم.* الجزائر: الحكمة للنشر والتوزيع.

صلاح الدين عبد الحق. (1993). *التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد* (المجلد ط01). دار التنوير.

عبد السلام إسماعيل علوي . (2011). *(ما التداوليات)* (المجلد ط02). اربد ،الأردن: عالم الكتب الحديثة.

فان دايك. (2000). *النص والسياق.* (عبد القادر قنيني، المترجمون) المغرب: أفريقيا الشرق.

فرديناند دو سوسير. (1986). *محاضرات في اللسانيات العامة.* (يوسف غازي، و مجيد النصر، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.

فيليب بلانشيه. (2008). *التداولية أوستن إلى غوغمان* (المجلد ط01). (صابر الحباشة، المترجمون) سوريا: دار الحوار الانقية.

محمد مهران رشوان . (2007). *مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة.* الجزائر: معهد المناهج.

مسعود صحراوي. (2004). *الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي.* باتنة، الجزائر: جامعة الحاج لخضر.

مي عبد الله. (2006). *نظريات التواصل* (المجلد ط01). بيروت لبنان: دار النهضة العربية.

هيجان والرولي، و سعد البازعي. (2002). *دليل الناقد الأدبي* (المجلد ط03). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

يعقوب فام . (1963). *البراغماتيزم أو مذهب الذرائع ، السلسلة الفلسفية*. القاهرة ، مصر: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر.